الاميركية التي طالما ناضل فولبرايت من أجل انارتها والاشارة الى اخطارها . ولقد كان فولبرايت خلال هجومه على مكارثي ، في الخمسينات ، أقرب الى عالم النفس وعالم الاجتماع منه الى السياسي . وكانت حملته اصلاحية اجتماعية اكثر منها سياسية . وكان يعبر خلالها عن خوفه على سلامة تفكير الاميركي العادي الخاضع لتأثيرات الصحافة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى الواقعة في قبضة الاحتكار الصهيوني ، والتي تمارس ارهابا فكريا لا يقل خطورة عن الارهاب الفكري الذي تمارسه اجهزة الاعلام في الانظمة البوليسية .

ولقد حذر فولبرايت من ميل الاميركيين الى الاندفاع وراء « صرعة » تفتش غالبا عن كبش فداء . ففي العام ١٧٩٨ مرت الولايات المتحدة بهزة راح ضحيتها الجفرسونيون الاحرار . وفي العام ١٨٠٠ توجهت الحملة ضد الكاثوليك والايرلنديين . وبعد الحرب العالمية الاولى تفجرت الهستيريا ضد « الاغراب » و « الحمر » والراديكاليين بشكل عام . وكانت الحملة المكارثية في الخمسينات ضد الشيوعيين الاميركيين . وفي السبعينات اتجهت الصرعة نحو « ووترغيت » . ويتركز الهجوم اليوم على وكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A.) ، والخطر العربي على الاقتصاد العالمي . ويبدو ان وسائل الاعلام الاميركية بحاجة دائمة لخطر وهمي او حقيقي تستغل به العقلية الاميركية المشلولة المترهلة . ولقد استغلت وسائط الاعلام الصهيونية قضية « ووترغيت » ، وأزمة الطاقة ، وبوادر الازمة الاقتصادية العالمية الناجمة عن الموقف النفطي العربي، ونادت في الانتخابات الاخيرة بضرورة انتخاب وجوه جديدة ، بعد أن اعدت هذه الوجوه التي تضع مصالح الولايات المتحدة في المرتبة الثانية ، ومصالح الصهيونية في المرتبة الاولى . وكان من اكبر الوجوه القديمة التي أزيحت من طريق « المكارثية الجديدة » السناتور وليام فولبرايت الذي غدا اليوم اكثر حرية من اي وقت مضى ، وأصبح بوسعه التعبير عن رأيه دون التفكير بواجباته تجاه ناخبيه الجنوبيين، او بمعادلات الكتل النيابية ، او بضرورات الحذر المفروضة على المسؤولين السياسيين الرسميين .

ويعتبر فشل فولبرايت اكبر تحد واجهه في حياته . وليس لدينا شك في انه سيقبل التحدي بكل شجاعة ، فهو رجل التحديات الذي رفع صوته عاليا أمام انحرافات السياسة الخارجية الاميركية ، وتشوهات المجتمع الاميركي المرضية ، وعارض مشروع الفضاء لايمانه بضرورة صرف الاموال الطائلة المكرسة لهذا المشروع فيمشاريع اخرى تؤدي الى تفادي المجاعة العالمية ، ونشر العلم القادر على بناء عالم افضل . ولكن من الواضح انه سيبدأ مواجهة التحدي الجديد بالصمت . فلقد خرج من مجلس الشيوخ بهدوء ، متحاشيا تراشق الاتهامات ، وكأنه اراد تأجيل الدخول مع الصهيونية ومؤيديها بمعركة تلاحقه في عزلته . هكذا نزل فولبرايت عن مسرح السياسة الاميركية بصمت لا يقدر عليه الا العظماء ، بعد أن قال على المسرح نفسه كلام العظماء .

آخر حديث صحفي للسناتور فولبرايت

السيد السناتور . لقد اقترحتم في محاضرتكم ، في جامعة وستمنستر ، في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ، أن يكون الحل لتسوية النزاع القائم بين العرب واسرائيل هو ان تعود اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ . هل تعتقدون ان من شأن ذلك ان يأتي بحل ملائم مع العلم ان التعديلات التي طرأت على الحدود بعد حرب ١٩٦٧ كانت نتيجة من نتائج القضية الفلسطينية ، لا سببا من اسبابها ؟